

غرام ابن العمدة

تحت حماية السلطة العسكرية

آلام دفينه

في اليوم السادس من شهر أكتوبر عام ١٩١٧ تلقى أحمد أفندي عثمان من ذوى الأملاك باحدى قرى مركز ههيا شرقية إشارة تليفونية ، خصوصية ، من ههيا إلى البندر لمقابلة صديقه ابراهيم أفندي رأفت لأمراض خاص ، في غاية الاهمية ، كان الشاب أحمد عثمان من « سواقط الكفاءة » على جانب لا بأس به من الذكاء الفطرى ، وكان أبعد أثرابه عن التشاؤم خصوصاً وهو حينئذ على أعقاب الزواج من فتاة يحبها ويتعجل الظروف لينأى بقرىها ، فلما تلقى الإشارة التليفونية من صديقه الحميم - رأفت أفندي - توقع من ورائها أنسا وابتهاجا - شأن كل اجتماع يأمله أمثاله في بنادر المراكز . . .

لهذا بادر الى أسرع الدواب فامتطأها وما هى الا سويعة حتى وصل الى البندر وهناك فى أحد حوانيت « المانيفاتورة » حيث كان صديقه بانتظاره التقيا وتماقيا بشغف وانتحيا ناحية ثم بدأ أحمد أفندي صديقه بالسؤال عن تلك المسألة التى سماها فى اشارته - أمرافى غاية الاهمية - !؟

فتبسم رأفت أفندي ابتسامة خفيفة تلاشى أثرها سريعا عن وجهه ثم اعتدل فى جلسته واخذ يداعب شاربيه فى شىء من الاهتمام وفى شكل من يتحفز لهجوم خطير ثم قال . « يا أحمد أفندي . . . هل تشك فى اخلاصى ؟ أولا تثق بصحة ما أقوله لك فى كل موضوع تحدثنا بشأنه قبل الآن ؟ » « اثق بك من غير شك فإذا تريد أن تقول اذن ؟ » « أريد أن أقدم اليك نصيحة خالصة تتعلق بحياتك ومحبتك الثمينة التى هى عندى أجل من كل شىء سواها وأنى مع الالم الشديد أسوق اليك خبراً قد تناهت عند سماعه لأول مرة ، بيد أنك اذا أمعنت النظر فيه بهدوء وبغير ان يملك الغضب نفسك قد تنجو من أعباء نصبها لك أحد الافراد ممن لا تشارك مطلقاً فى نذالهم رستوط

اخلاقهم وسوء سمعتهم . فاذا قارنت بين أمرين ساعرضهما عليك . واذا قارنت بينهما تحت ضوء الحكمة أمكن أن تعرف قيمة كل منهما ، وأمكنني بعد ذلك أن أخطو الخطوة الأولى في طريق انتقاذك من خطر محقق ،

هنا ثارت الشكوك في نفس الشاب في كل ناحية من نواحي حياته واستعرض أمام مخيلته ما عساه أن يكون قد اقترفه من خطأ ضد ذلك (الفرد) النذل الساقط الاخلاق السيء السمعة فلم يذكر اساءة واحدة . فبادر صاحبه بالسؤال عن ذلك الذي يعنيه وتابع سؤاله قائلا :

— أراك قد فرضتني ذبابة لا يأنف أحد من قتلها وصورت لي ذلك العدو السافل بصورة تجعلني أسألك عن أمر هذه المؤامرة التي تحكم بنتيجتها الخطيرة حكم الواثق المطلع على بواطن الامور ، فهل لك في زيادة الايضاح بصراحة وجلاء من غير ان تستعمل الكنايات والاحاجي ؟ ؟
فقال رافت افندى -

. تعلم يا صديقي أن لك أختا على جانب عظيم من الجمال الذي لا أفشى سرا اذا قلت لك أنه ربما كان السبب الوحيد في كل هذه المؤامرات - ثم تعلم أن خليل سليمان وحيد عمدة بلدكم طالما فاتح والدك في أمر زواجه من أختك فلم يجبه الى ما طلب ، وأنه وان كان سيء السمعة كما أشرت سابقا الا أنه يستطيع الآن بكلمة واحدة أن يرسلك إلى حيث لا أمل في الرجعة ، فأما مك أحد أمرين - اما زواجه من أختك - وإما ... (فقاطعه أحمد قائلا - وإما حياتي أليس كذلك ؟ ؟) فتابع صديقه - ليس مؤكدا أنك تموت هنا بيده وانما أريد أن أقول أنك ربما تموت متأثرا بالام لم تعد حملها أبدا « فاستشاط أحمد غيظا وقال « كيف يتم ذلك ؟ وهل ارسالي إلى ذلك الجحيم - الذي تهددني به اصبح الآن تحت اشارته وفي متناول يده ؟ ؟ »

فاجاب صديقه - نعم وأؤكددها لك . وأرى أن الحدة الان لا تفيدك مطلقا بل الواجب أن تعلم أن ابن العمدة أنفهم ما أعنيه بقولي - ابن العمدة - ؟ أنفهم ذلك جيدا ؟ ؟ نعم يجب ان تعلم ان ابن العمدة يستطيع ان يخرجك من القطر المصري بإشارة بنان أو حركة لسان . افهمت الآن ؟ ؟

— آ... ه... اخشى ان اكون قد فهمت . . وفهمت جيدا على ان الحق الذي

أريد أن اصارحك به هو أنك ضالع في هذه المسألة بقسط كبير فاني لا اجهل ان
أخته - الوارثة مقدما - تملك عليك قلبك ، مع أنه قد سبق لي أن أخبرتك
أنها خطيبي - برغم أنك أخيها فقط - وبملء الرضى من ذويها . وما امتنعنا عن قبول
زواج أختي من ذلك السافل الدنس الا بعد أن وافق أبوه - العمدة - على الرفض
واستطيع أن أقول إنه هو الذى بدأ بعدم الموافقة لسوء سلوك ولده ، فاذا أردت مصلحتي
حقيقة فاضرب صفحا عن الدسائس التي يراد بها عرقلة عقد زواجي من أخته ولك
بعد هذا أن تختار زوجا أخرى تكون واياها على ووداد ووافق .. والا فكفاني عذرا
أن أصرح لك بهذه الحقيقة التي كانت كثيرا تثير الشك في نفسى من جهة حسن نيتك
في أساس الصداقة بيني وبينك ...

فأجابه في حدة واستخفاف - كفك يا هذا غرورا واتهاما لي فاذا تزعم أنني
أستفيد من صداقتك التي تمنى بها على مثلي ؟ . ماهى الفائدة التي تأتيني من صلتك بك ؟
وعلى كل حال فارجوك أن تنسى أن أخت خليل تهواك . فانها على العكس من ذلك
تكره أن ترى وجهك برغم استعدادكم لحفلة العقد ومانشأ تودد أهلها اليكم الا بتوصية
خليل نفسه الذى يريد بأية وسيلة أن يكون له حق دخول منزلكم عند أى مناسبة ..
وفي أى وقت . ولسوف ترى حين لا ينفع الندم وترى أى انسان ترميه بالدس والخيانة
وتزعم أنه يؤاخيكم لغاية في نفسه .
وقف احمد في أنفة وسخرية وهو يقول لصديقه الامين « الى الماتقى يا أخ ولكن
ما يمكن أن يكون

في لجنة السلطة العسكرية بالمركز

« هذا الشخص لا يكون في البلد ويمكننا أن نظفر بنقر تقدمه للسلطة فانه يحرض
الناس على الثورة ، وأبى رجل طيب لا يعرف لثوم هذا الماكر الخيث »
كان هذا آخر مقال له خليل - ابن العمدة - لكاتبين هيا في مكتب السلطة ببندر
المركز في مساء ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ وعلى ذلك خلا الكاتبين بأحد ضباط المركز
ثم استقر رأيهما على أمر افتراقا على وجوب تنفيذه

في البلده

عاد احمد الى القرية تتضارب في رأسه الظنون ثم توجه توال الى منزل العمدة وهناك حدث زوجة العمدة بما دار بينه وبين صديقه رأفت افدى وهو الذى يزاحمه في بنت العمدة فطمأنته وعرفته أن خليلاطاش لا يهم كلامه - أما خطيبته فهى لا ترغب فى سواه ، ولبس للخليل رأى فى موضوعها . فأنصرف مطمئنا وتوجه الى منزله حيث كشف الموقف أمام أمرته وأحاطها بما دار بينه وبين حماته زوجة العمدة



بعد تلك المحادثات بايام ، وبعد أن قام والد احمد افدى ببعض اجراءات الزواج ثم عقد العقد ذهب احمد تمهيدا لذلك لتوزيع رقايع الدعوة على بعض أصدقاء عائلته فى بندر المركز ، وقام فعلا بتوزيع أكثرها وبينما هو يحتاز أحد الشوارع اذا انقض عليه رجلان - خفير نظامى مصرى وعسكري مصرى أيضا - وقاداه عنوة الى وكالة كانوا يحشدون فيها « أنصار السلطة »

وفى لحظة تلاشى صياحه بين ضجيج الآخرين ، ووضع اسمه فى قائمة المتطوعين ، الذين كانوا يقادون مرغمين . وقليل منهم فى ذلك الوقت من كان يتطوع بارادته . ولقد دخل العريس « بملاحقه » التى كانت تحمل بشرى الانس والسرور - دخل « وكالة » الموسوقين الى الميدان الحزبى فى فلسطين فـ كان الموقف عجبيا وألميا فى وقت واحد .

وطير الخبر الى القرية ولكن بعضا من الناس كانوا - ذرا للرماد فى أعين أدل الاسير - ينفون الخبر وهم يريدون بذلك تأخير النجدة عن العريس ولو بضع ساعات .

وقامت ضجة فى القرية خف على أثرها العمدة مع أبى « العريس » فتوجهوا الى المركز وعثا حول اىصال حقيقة المسألة الى ذهن الكتبتن أو المأمور . وأخيرا استقر رأيهما على الحضور الى مصر لمناظرة المسئولين ورجائهم فى اخلاء سبيل المتطوع ! ولو بيدل تقدى ، وقد كانت التعبئة للسلطة فى أشد نشاطها على أساس الضرورات الحزبية وكان الطلب من دفاتر الميلاد ، وكانت الاحكام العرفية تحمى

أكثر من هذه الحادثة .. كل هذه الاعتبارات كانت سببا في اخفاق الرجلين عند محاولا
استنقاذ العريس ، فتوجها آوا إلى مصر .



وفي الساعة الخامسة وانصف من صباح اليوم الذى توجه فيه العمدة إلى مصر
كان الفطار ينهب الارض بانفاز السلطة إلى القنطرة وبين الانفاز المنكودين
العريس السبيء الحظ ينظر في دهشة وارتباك بين بكاء الباكين وعلى ضجة العجلات
الى الشمس فى الشرق وقد أرسلت خيوطها الوهاجة على كشيء شاسع والقطار يأخذ
فى سيره الخيىث جادا فى ابعاد الحبيب المحبوب عن ديار من يهوى ، وقدمت أمام المسكين
محطة التل الكبير بسرعة ثم توارت فى غلائل البعد . وتواردى مع هذه المحطة آخر
أمل للعريس فى النجاة واستسلم المسكين لقضاء الله وترك الاقدار تفعل أفاعيلها . وكان
يجنح إلى البكاء اذا جن الليل ويتصنع الثبات وهو واهى الجلد



« بين الاثيمين الخائنين »

رأفت (بحدة) - كنت أظن انك أكثر نقوذا على أسرترك من هذا ولولا
ذلك لما ساعدتك على ابعاد احمد ليخلو لك الجومع أخته بالكمه لبك ولأجل أن تخلو
باختك فتعمل جهد المستطاع لملها على الطعن فى صحة وكالة والدها عنها فى العقد مع
بلوغها سن الرشد . وتريد اليوم أن تقول لى انك لاقيمة لرأيتك فى موضوع أختك ؟؟
هذا كلام لا يعقل !

خليل - وماذا عاد على من المنفعة بعد أن زاد نفور أهل التى تذكرها منى بسبب
ابعاد ابنهم وقاطعوني مقاطعة تامة بعد ان كنت اجد فيهم شيئا من الرثاء ؟ دعنى اذن
أناجى حظى العاثر ولا تكثر على سمعى هذه النعمة ، فلعنة الله على الحب اذا كان
لا يتم إلا بالجريمة أما كفى غضب والدى ووالدة ، وأهل القرية ؟ قاتلك الله ! ان
أختى تبكى ليلا ونهارا الشدة وقع الخبر عليها فبى لن تفكر فى غير من أحبته ولا تبص
ثروتك بجانب وداعة أخلاق عريسها فاذهب إلى أى مكان شئت ودعنى من هرائك
الممل فانى نادى

شروع في جنائية

وصل إلى النيابة في مساء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٧ بلاغ جاء فيه «ينما كان عمدة . . عانداً من لجنة الشياخات إلى بلده اذ أطلق عليه مجهول عياراً نارياً ناد يقضى عليه لولا أن أخطأته الرصاصة سنيمترا واحداً فنجأ بأعجوبة . وهو يتهم إبراهيم رافت ويقرر أن بينهما عداوة بأسباب عائلية »

في المستشفى الانجليزي

هذا مريض بائس تنهشه الحى وقد بات قاب قوسين من الهلاك ، وقد وفد عليه في سريره لجنة من الاطباء قرروا اعطائه الحقنة الاخيرة فأما . . . وأما . . . ثم وقف المرض وبدأ المريض يفهم ما حوله ويدوق طعم الماء ، وينعشه الهواء الذى يهب على شاطئ القنال حيث تنهادى البوارج البريطانية الضخمة بألوانها المختلفة ثم تماثل المريض للشفاء وصدر الامر باعادته إلى بلده لعدم اللياقة طبيّاً للعمل وفي صباح أحد أيام با كورة عام سنة ١٩١٨ كان الفطار الابيض يعود في هدوء وينساب كالافعى على شريطه قاصدا الزقازيق والعريس يطل من القطار على تلك السهول الصفراء ويكاد يطير إلى بلده لولا عدم الاجنحة

امام محكمة الجنائيات

نظرت القضية وبعد المرافعات صدر الحكم على رافت بالسجن سنتين ونصف مع الشغل وعاد أهله من الزقازيق في صباح وعويل

في محطة هيبا

كان منظرآ بديعاً ذلك الذى شهدته محطة هيبا فقد نزل أهل رافت من القطار بين ازدحام تطير فيه أصوات النساء ، ونزل العريس من القطار نفسه يتهادى بين آبيه والعمدة والرثائب الانيقة تنتظرهم والقرية تكاد تكون في عرس عام وبعد قليل قام مهران زواج العريس وتوافد عليه المدعوون من كل جانب ، فكانت بهجة وكان لقاء بعد اليأس . وما أحسن اللقاء بعد اليأس وفى هذه الساعة كان رافت يرسف في أغلاله رهن إشارة السجنان ...
محمد عبد الجواد السكرى